عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

بغداد ودورها الرائد في تفوق العرب على اليونان في مجالات الطب

بقلم الدكتور

خليل باز

الجامعة اللبنانية ـ بيروت

كانت بغداد في العصور العباسية ، مدينة الطب والاطباء ، يرنو اليها العربي والاعجمي ، على حد سواء ، ان لجهة الاختصاص في هذا الميدان ، وان لجهة طلب الشفاء من مرض عضال ، اما النهضة الطبية الرائدة ، فان هذه المدينة الخالدة حملت اعباءها حقبة طويلة من الزمن ، حتى تجاوزت الطب اليوناني اشواطا بعيدة .

فهارون الرشيد اول من شجع ترجمة كتب اليونان الطبية ، وكانت مجموعته في هذا الميدان ، مقتطفات من كتب اخبار اليونان ، ولاسيما جالينوس ثم ترجمت كتب ابوقراط وسواه ، ولقد عمل العرب على تنمية تلك العلوم ، وقد بلغ العلم العربي قمة عصره الذهبي بين القرن الثامن والتاسع ، وكان مركزه الاساسي ، بغداد .

ولقد اشتهر من الخلفاء العباسيين ، المنصور والمأمون بحبهما للتوسع العلمي بحيث اولع هذان الخليفتان بالعلوم اليونانية ، فاشتريا مخطوطات كثيرة ، من يونانية وغيرها ، وحفظاها في « بيت الحكمة » وامرا بترجمتها الى العربية .

فالطب العربي ، بفضل مدينة بغداد خاصة ، وبعض الحواضر العربية عامة ، سبق الطب الغربي بمئات السنين .. وكانت في بغداد والبصرة والكوفة ودمشق وقرطبة مدارس جامعة ، يقصدها الطلاب من الشرق والغرب ، ويتفق العلماء ، على ان العرب بلغوا شأوا فاقوا فيه اليونانيين بكثير . فدرسوا علم وظائف الاعضاء ، وعلم الصحة وكانت طرق طبهم العلمية ، نظير طرقنا الحاضرة ، ولا نزال حتى اليوم نستعمل كثيرا من ادويتهم وكان جراحوهم يعرفون التخدير ، ويجرون العمليات الصعبة ، والعرب اول من جعل احتراف الطب ، تابعا لامتحان ، واول من افتتح الصيدليات المجانية . وهكذا وفق علم الامراض العربي ، ان يتعدى حدود العلم الاغريقي ، ويسبق في فتوحاته ، ما جاء بعد جالينوس نفسه ، الذي وان اشتهر بتحليلات رائعة صائبة ، الا انه صرف طاقاته الجبارة في تسخير الحقائق لخدمة نظرياته وصبها في بنائه الضخم مهما كان السبب .

حتى جاء الرازي ، فعلم العرب التفكير الطلق والنظر الحر ، فرسالته عن الحصبة والجدري ، ظلت المرجع الاول والاخير في اوروبا ، حتى القرن الثامن عشر . ثم فرق مرض النقرس عن الروماتيزم وكان ابن سينا اول من وضع تشخيصا دقيقا عن التهاب الاضلاع ، والرئة وخراج الكبد ، ثم فرق بين الالتهاب الرئوي والبلوري ، وبين التهاب السحايا الحاد والثانوي ، وبين عوارض المغص المعوي والمغص الكلوي ، وتعرض لشلل الوجه واسبابه ، ففرق بين الشلل الناتج عن سبب مركزي في الدماغ والناتج عن سبب محلي ، ووصف تشعب الاعصاب في القفص الصدري ، ومن المعروف ان الاغريق قد عالجوا الشلل بوسائل حارة ، فجاء العربي ابن بشر وادخل كعلاج للشلل ، الادوية المبردة وعنصر الماء المرطب وحقق به نجاحا هائلا ، ووضع حدا لاستعمال الوسائل الحارة ، وعالج مرضاه بماء الشعير وبغيره من النباتات .

وبدين علم الطب لابن زهر باول تشخيص سريري للالتهاب الاهاب (الجلد الخام) الوسطي

WWW.ATTAWEEL.COM

وللالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب ، وقد فرقها عن امراض الرئة . ويدان له باكتشاف الحقنة الشرجية المغذية والغذاء الاصطناعي لمختلف حالات شلل عضلات المعدة ، وبوصف كامل لسرطان المعدة ، في الوقت الذي اكتشف فيه ابن سينا ان سرطانا موضعيا يعطي عوارض السرطان العام في الجسم ، واكد امكانية عدوى داء السل وخطر الاشعة الشمسية على المصابين به .

اما ابن رشد فقد اكتشف المناعة التي يتركها داء الجدري الاسود لدى اصابته الاولى ، كما ان مبدا التطعيم يتم بواسطة جراثيم ضعيفة ، وذلك بان نجرح اليد ما بين المعصم والابهام ، وبوضع قليل من بثور غير ملتهبة فوق الجرح ، بينما كان الصينيون ، يضعون ضمادة مبلولة بقيح الجدري فوق انف الولد .

وفي النصف الاول من القرن التاسع صور ابن مسكويه صورة شاملة للجذام (البرص) وقال انه مرض معد ، ولقد اهتم به كثيرون غيره كابن الجزار الذي كتب مفصلا اسبابه وطرق علاجه ، وكذلك عندما انتشر مرض الطاعون انتشارا هائلا ، نشر الطبيب الاندلسي ابن الخطيب ؛ رسالة علمية منطقية عن العدوى بواسطة الاتصال بالمرض ؛ ومن المؤكد ان اكتشاف العدوى واخطارها والوقاء من الهلاك ، الذي كانت تزرعه بين افراد الشعب ، اعتبرا من اعظم الفتوحات العلمية التي حققها الفكر العربي الخلاق .

وكما وفق العرب في الطب ، كذلك وفقوا في فن الجراحة ؛ واسدوا له خدمات جلى ، فالجراح الاندلسي الزهراوي ، ادخل تجديدات في مداواة الجروح ، وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة ، وفي التشريح واجراء العمليات . وقد اهتم هذا الجراح العربي ايضا بالالتهابات المفاصلية ، وبالسل في خرزات الظهر ، الذي سمي فيما بعد باسم الانجليزي بوت ، الداء البوتي ، وكذلك طور فرع الامراض النسائية بان ادخل عليه طرقا في البحث والمداواة جديدة ، والات حديثة ، بعد ان كان على يد الاغريق في مستوى غير لائق . كما اوجد لمسات جديدة للولادة في حالة سقوط يد ، او ركبة الجنين او وضعه المسمى بوضع الارجل (تقدم الارجل من باب الرحم على الراس) او الوضع الوجهي ، وهو اول من عالج هذا الوضع الاخير واول من اوصى بولادة الحوض ، وعلم القيام بعمليات في المهبل والبة لتوسيع باب الرحم .

وقد درس ابو القاسم علاج تشويهات الفم والفك . ونجح في عملية شق القصبة الهوائية ، وقد اجرى هذه العملية على خامة . ووفق ايضا في ايقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة محسنا بذلك عملياته الجراحية ، ومسهلا بقطع الاعضاء ، وهو فتح علمي كبير حققه وعلمه ابو القاسم العربي ، كما انه علم تلامذته كيفية تخييط الجروح بشكل داخلي لا يترك شيئا مرئيا منها ، والتدريز المثمن في جراحات البطن ، وكيفية التخييط بابرتين وخيط واحد مثبت بهما ، واستعمل الخيطان المستمدة من امعاء القطط في جراحات الامعاء ، وهو اول من اوصى في كل العمليات الجراحية في النصف السفلي من الانسان ، ان يرفع الحوض والارجل قبل كل شيء . وهذا الجراح العربي هو اول من اوجد طريقة فتحة في رباط الجبس في الكسور المفتوحة، وامد الجراحين واطباء العيون والاسنان ، بالالات اللازمة للعمليات بواسطة الرسوم الجديدة التي وضعها .

اما في طب العيون ، فقد بلغ العرب شاوا عظيما ، تفوقوا فيه على اليونان واول كتاب في هذا الموضوع كان كتاب اسحق بن حنين (العشر مقالات عن العين) وقد بقي مع مؤلفات علي بن عيسى وعمار من الموصل ، المرجع الاول لطب العيون حتى القرن الثامن عشر .

كذلك ، فان العرب برعوا في معالجة تشويه المفاصل والعظام ، وادخلوا طريقة جديدة لمعالجة خلع الكتف . وقد زاد ابن سينا على المداواة بالحمامات الباردة او الساخنة الموروثة عن القدماء علاجا يقضي بجمع الاثنين في آن واحد ، بفصلهما تراوح زمني بسيط. كما انه اوجد الحقنة الشرجية او كيس الثلج . اما استعمال خيط الشعر للعمليات الجراحية في القرون الوسطى ، فيرجع الى الرازي والعرب هم اول من استخدم المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية ، وكان التخدير العربي فريدا من نوعه ، يختلف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود والرومان واليونان يجبرون مرضاهم على تناولها كلما ارادوا تخفيف آلامهم .

لقد اعتقد ابوقراط اليوناني بان تقيح الجروحات ما هو الا عملية طبيعية مرغوب فيها جدا ، وذلك لعملية التطهير التي يقوم بها في الجسم ولكن ابن سينا ، عارضه في هذا ، بنظريته عن الجروح الخالصة من القيح . وكان نجاحه هائلا ، والسر في ذلك يرجع الى انه قد تخلى عن نظرية القيح القديمة ، وعمل ما بوسعه لتجنب اي عامل

كيماوي ، مع الخمرة المعتقة القوية ، واثبت قوة مفعول الخمرة الفاتكة للجراثيم التي توازي قوة البينسلين ، وفي مداواة الجروح تقليد عربي قديم ، ذلك ان عرب الجاهلية قد ابدعوا في مداواة الجروح المعدية ؛ ووجدوا لها وسيلة ، نعني بها مضادات الجراثيم ، فمن سروج حميرهم ودوابهم حصلوا على المواد المضادة للجراثيم (البنسلين) وعلى دواء الهليون ؛ وضعوا منها مراهم وعالجوا بها جراحاتهم الملتهبة ، كما انهم نفخوا غبار العفن في الحلق لدى التهابه ، كما هو المعهود لدى البدو حتى ايامنا هذه .

والعرب هم اول من عالجوا الامراض العقلية والعصبية بالافيون ، كما هو متبع حديثا ، كما انهم ابدعوا في المعالجة النفسية التي مثلت دورا مهما في مداواتهم بالموسيقى ، ووضعت كتب خاصة بهذا الموضوع ككتاب (تأثير الموسيقى في الانسان والحيوان) لابن الهيثم . ولقد نادى ابن سينا بضم الوسائل النفسانية ، الى التداوي بالعقاقير لزيادة مفعولها وازالة الخوف عن المريض قائلا بما معناه علينا ان نعلم ان افضل العلاجات وانجعها ، هي العلاجات التي تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية ، وتشجيعه ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه ؛ وسماعه ما عذب من الموسيقى ، وجمعه بالناس الذين يحبهم .

ولم يجهل العرب حفظ الصحة ، فكانوا يعرفون جيدا ، ان علم الصحة ؛ يعلمنا طرق الوقاية من الامراض التي لا يستطيع الطب شفاءها . وكانت مناهجهم الصحية . طبية منذ القديم ، وما سار عليه ابناء البلاد الحارة من تفضيل الطعام النباتي على الطعام الحيواني غاية في الحكمة . وكان من عادة مؤلفي العرب ان يوجزوا وصاياهم الصحية ، في كلمات جامعة يسهل حفظها ، ويظهر ان مشافي العرب التي انشئت فيما مضى ، افضل صحيا من مشافينا الحديثة، فقد كانت واسعة ذات هواء كثير وماء غزير ؛ ولما عهد الى الرازي في اختيار حي في بغداد لاقامة مشفى عليه ، التجأ الى طريقة لا ينكرها عليه اصحاب نظرية المكروب الحديثة ، وذلك انه علق قطعة لحم في كل حي من احياء المدينة ؛ واعلن ان اصلح حي يقام عليه المستشفى هو الحي الذي يتأخر فيه فساد قطعة اللحم المعلقة.

وكانت مشافي العرب ، ملاجيء للمرضى ؛ واماكن لدراسة الطلاب بحيث كانوا يتلقون دروسهم في المشافي ، اكثر مما يتلقونها في الكتب ، وانشأ العرب مشافي للمصابين ببعض الامراض العقلية ؛ ولم يجهلوا تأثير الجو الصحي ، ومن ذلك نص ابن رشد في شروحه لكتب ابن سينا ، على تأثير الاقليم في داء السل وايصاؤه المصابين به بان يقضوا فصل الصيف في جزيرة العرب وبلاد النوبة . وكان العرب يعتمدون كثيرا على علم الصحة في معالجة الامراض، وعلى الوسائل الطبيعية ، ولا يختلف لذلك عن الطب الحديث .

WWW.ATTAWEEL.COM